علمية الرياضة: مساءلة ابستمولوجية

د. محمد اليمين عزيون

جامعة باجي مختار – عنابة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية،amlyamine@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2019/11/13 **تاريخ المراجعة:** 2021/09/09 **تاريخ القبول:** 2021/11/07

ملخص

تنظر الدراسة في مدى علمية الرياضة وفق مقاربة ابستمولوجية، حيث تم عرضها على جملة من المعايير التي تساعد على إثبات هويتها العلمية. فغموض المفهوم وهلامية الموضوع بالإضافة لتعدد المناهج يعزز الشك في مدى صحة ادعاء العلمية، لكن النقاش المفتوح ابستمولوجيا حول هذه القضاياقادنا إلى استخلاص فكرة عن صعوبة الجزم بقرار قطعي نقول من خلاله –بالأخص– أن الرياضة ليست بعلم وأنها أبعد ما تكون من شروط العلمية.

الكلمات المفاتيح: علم الرياضة، علمية، ابستمولوجيا، موضوع، منهج.

Sport sientificity: epistemological questioning

Abstract

The study examines the scientific city of sport according to an epistemological approach, where it was presented on a set of criteria that could help prove its scientific identity. The ambiguity of the concept, the subject matter, and the multiplicity of methods reinforce doubts about the validity of the scientific claim, but the open epistemological discussion on these issues has led us to draw an idea of the difficulty of asserting a categorical decision, in which we say, in particular, that sport is not a science and it is far from scientific conditions.

Keywords: Sport science, scientific city, epistemology, subject matter, method.

Scientificité du sport: questionnement épistémologique

Résumé

L'étude examine la scientificité du sport avec une approche épistémologique, on l’a présentée sur un ensemble de critères permettant de prouver son identité scientifique. L'ambiguïté du concept, le sujet et la multiplicité des méthodes renforcent les doutes sur la validité de la revendication scientifique, mais la discussion épistémologique ouverte sur ces questions nous a amenés à nous faire une idée de la difficulté d'affirmer que le sport n'est pas une science et qu’il est loin des conditions scientifiques.

Mots-clés: Science du sport, scientificité, épistémologie, sujet, méthode.

المؤلف المرسل: عزيون محمد اليمين، amlyamine@gmail.com

مقدمـــة

لقد اخترقت الرياضة المجالات الأكاديمية بعد أن احتلت مكانة في حياة الأفراد والمجتمعات، حيث تأسست كميدان علمي قائم بذاته وتحولت إلى مادة بحثية تنتج معرفة علمية ذات قيمة نظرية وتطبيقية في مجال الرياضة، وتتخطى في بعض الأحيان لتشمل مجالات أخرى كالصحة وعلم النفس والاجتماع. والحقيقة أن ذلك ليس بالغريب من حيث إن العلم والطرح العلمي كسمة غالبة في عصرنا، لن يغفل عن ظاهرة كالرياضة وقد حملت هذا القدر من التطور والاهتمام من مختلف الشرائح في المجتمع. فالعلم يحاول الإحاطة بجميع الظواهر ويضفي عليها شيئا من الشرعية كحقائق موثوقة، ولا تكاد تفلت ظاهرة من سطوته "فميدان العلم غير محدد... فمادته لا نهاية لها، كل مجموعة من الظواهر الطبيعية، وكل طور من أطوار الحياة الاجتماعية، وكل مرحلة من مراحل التطور القديم أو الحديث... كل ذلك يعتبر مادة للعلم" كما يقرر كارل بيرسون[(1)] ولكن هذا الاتساع هو محل انتقاد، ويقابله البعض بشيء من الريبة تتعلق بمدى قدرة العلم على الإحاطة بكل الظواهر والأخص بالذكر الظواهر اللامادية وذات التغير الاعتباطي التي يصعب ضبطها، وكذلك مدى علمية بعض المسارات والبنى المعرفية. فهذا الاتساع فتح المجال لنشأة العديد من العلوم والمعارف التي تدعي العلمية بإعلان تفردها بموضوع وإثبات بعض الالتزامات المنهجية في تفسير ظواهره. كل ذلك صار مدعاة للالتفات الفلسفي للخوض في حقيقة العلم والمعرفة العلمية، وتشكل موضوعا ابستيمولوجيا جادا للتمييز بين ما هو علم وما هو لا علم أو علم زائف.

إن إخضاع العلوم للتدقيق الابستمولوجي يكون في نفس الوقت بنظرة أفقية من خارج العلم وأخرى في العمق من داخله، حيث يوضع في مقابل غيره من العلوم بعرضه على جملة من المعايير تتحدد من خلالها هويته المعرفية، فوضع حدود للعلم هو في إحدى مراحله إخراجه من دائرة المعرفة العامية وقطع كل صلة له بأنماط التفكير الساذجة الهلامية التي لا يمكن الجزم بصدقيتها وثباتها، وفي مراحل متقدمة هو تمايزه عن العلوم التي يشترك أو يختلف عنها في الموضوع. لكن ذلك قد لا يكون بشكل دائم مطلق. فالعلم كما يذكر السيد شعبان حسن "...هو الذي يضع حدوده الخاصة. وعندما يكون قد حدد بوضوح هذه الحدود فإنه يكون قد تجاوزها، نستخلص مما سبق أن مفهوم الحدود الابستمولوجية بالنسبة للمعرفة العلمية ليست إلا تواقفاً لحظياً لهذه المعرفة وأنه لا يمكن أن نرسم بصورة موضوعية هذه الحدود ولذلك فإن الصيغة الأكثر ملاءَمة للتعبير عن هذا هي القول بأن الحدود بالنسبة للعلم تعني برنامج عمل أكثر مما تعني عوائق مطلقة"[(2)].

ويستقل العلم بموضوع ومناهج بحث وينتهي إلى نظريات مفسرة لظواهر مرتبطة بالموضوع عينه، حيث يشكل الموضوع دائرة الاهتمام التي تتركز فيها مادته البحثية ويستمد العلم منها عادة تسميته كالنفس لعلم النفس، والمجتمع لعلم الاجتماع، والسياسة لعلم السياسة وغيرها من العلوم. وكلما كان الموضوع أوضح كان العلم أكثر نضجا وأقرب للعلمية. بالإضافة لتوفر منهج أو مجموعة من المناهج تضمن موضوعية المسار العلمي في الوصول إلى نتائج ونظريات يمكن الاعتداد بها لتشكيل بنية معرفية للعلم ذاته وكذلك إضافة لبنة في بناء المعرفة العلمية الإنسانية ككل. وبالإمكان ملاحظة امتداد المواضيع العلمية، فكل الظواهر التي يدرك الإنسان وجودها ويقف على آثارها في حياته هي محل تفكير بالنسبة له في ماهيتها أولا لينتقل في مقام آخر إلى النظر في مدى قدرته على التحكم فيها من خلال الكشف عن القوانين التي تخضع لها والتصرف فيها فيما بعد. لذلك كل موضوع يقابله علم يختص به ويأخذ على عاتقه حل المشكلات التي يطرحها ليتسنى بذلك للإنسان فهم العالم الذي يحيط

به ويقترب أكثر من تحقيق غايته الوجودية. وليس ذلك إلا حالة اختزالية، فيمكن أن تشترك عدة علوم في موضوع واحد، كما يمكن لعلم أن يتناول عدة مواضيع كمادة علمية مجملة.

وتأتي الرياضة بعد كل ذلك لتبرز كظاهرة قائمة بذاتها تحمل كل الصفات الوجودية التي لا يمكن معها غض الطرف عن حاجة التناول العلمي لها، وهذا ما هو حاصل بالفعل، إذْ تشكل الرياضة في الوقت الحالي مادة معرفية أكاديمية تُدرَّس في الجامعات بتشعبات وتخصصات متعددة، كما أنها موضوع بحثي علمي يتصدر عديد المخابر البحثية والإصدارات العلمية على مختلف الأصعدة. والحقيقة أن النظر في علمية الرياضة يُظهِر شبه انتكاس وأقرب للجدال في ظل ما تقدم من إثباتات واقعية، غير أن ذلك لم يشفع لها، فالعديد من العلماء يشككون في إمكانية إنتاج وجود معرفة علمية رياضية بحتة تبتعد فيها عن أي علم آخر، فلا هي تقدم مفهوم محددا ولا موضوعا مستقلا والأبعد أن تمتلك مناهج تقود مساراتها البحثية. فالرياضة تعيش شبه أزمة هوية من حيث ضبابية المفهوم لتعدد أنماط الممارسة التي تأتي تحت تصنيف الرياضة فنجد الرياضة التنافسية، والرياضة الصحية، والرياضة الترفيهية، والتربية البدنية، إلى غيرها من الأنماط وقد ترتب عن ذلك هلامية في الموضوع، فلم يتمكن المختصون إلى الآن من تحديد مضبوط لما يدرسه هذا العلم فتشتت الرؤى بين علم الممارسة الحركية Praxeology أو علم الحركة Kinesiology أو علم حركة الانسان Kinanthropology. بينما يرى البعض الآخر بأن الرياضة ىي علم تطبيقي أو قد تكون فنًا يتجلى في مهارة تطبيقية تستفيد من توظيف المعارف العلمية الأخرى، كالطب وعلوم المهندس. وبين هذا وذاك تقدَّم الرياضة من أطراف أخرى على أنها ليست علم الرياضة وإنما علوم الرياضة على أساس أنها ميدان متعدد التخصصات multi–disciplinary field مرتبط بالفرد الممارس لأنشطة بدنية في سياق اجتماعي محدد من كون الفرد عبارة عن وحدة بيولوجية نفسية اجتماعية يشكل كل جزء منها عاملا مؤثرا في طبيعة نشاطه.

لكن النظرة الابستيمولوجية كما تعسفت مع المعرفة الإنسانية بشكل عام والرياضة بشكل خاص، قدمت في نفس الوقت بعض المنافذ التي يمكن أن تتسلل منها الرياضة وتستقيم كعلم يحظى بالاعتراف والتقدير. فطبيعة الرياضة ساهمت بشكل كبير في ذلك كما أن تغير النظرة تجاه السلطة العلموية وتعرضها للانتقاد قدمت الدعامة والسند لبلوغ هذه المدارك. رغم ذلك، على قدر ما تمثل الرياضة من وضوح أنطولوجي، إلا أنها ابستيمولوجيا لا تزال تشكل محور نقاش حول إثبات علميتها، وتبقى العديد من التساؤلات معلقة ومتجددة حتى يتم ضبط ماهية هذا العلم وتحديد معالمه الكبرى حتى وإن كان في جوهره متعدد الأوجه والتعقيدات، فلا مناص من إعادة طرح هذه الانشغالات الابستيمولوجية لتساعد في إرساء كيان معرفي واضح ذي بنية معرفية متكاملة بمناهج علمية موثوقة وموضوعية يمكن بلوغ البناء النظري من خلالها.

1- علمية الرياضة والبحث عن هوية معرفية:

يقول "هيدجر": "إن العلم لا يفكر في ذاته، ويمكن أن نضيف إلى هذا، أنه لا يُعنَى كثيرًا بذاكرته، ولا يلتفت إلى ماضيه، فديدن العلم في أن يصحح ذاته ويجدد نفسه ويتجاوز الوضع القائم، ناهيك عن الماضي، إنه يشحذ فعالياته المنطلقة بصميم الخصائص المنطقية صوب الاختبارية والتكذيب والتصويب، صوب مزيد من التقدم والكشف، أي صوب المستقبل دومًا"(3). فوصف العلمية هو حكم فلسفي صادر بتفكير خارج العلم لمنحه هوية معرفية تشير الى ماهيته وموضوعه وكذلك نظرياته ومدى صدقها وتحققها، وتصطدم الرياضة بهكذا تفكير وهي لا تزال على مسار التشكل العلمي، وقد وقف "براخت" على ذلك واستطرد مؤكدا على أن "جزءًا من أزمة هوية

الرياضة يأتي من هنا، الرغبة في أن يصبح علمًا، ومن اكتشاف أنه يعتمد على التخصصات العلمية الأخرى فالتربية البدنية "مستعمرة "من قبل التخصصات الأخرى"[4]. علاوة على ذلك، لطالما كانت الاختلافات والتوترات والمناقشات العالمية قائمة لأكثر من 150 عامًا حول أغراض وأهداف وموضوع ومناهج التربية البدنية والرياضة[5]. والنتيجة في الغالب التشكيك في علميتها من حيث عدم تثبيت هوية معرفية واضحة تميزها ابستمولوجيا عن باقي العلوم. وهذا راجع بالأساس لغموض المفهوم وهلامية الموضوع بالإضافة لمشكلة انتساب النظريات التي هي عموما مرتبطة بعلوم أخرى.

1-1 مشكلة المفهوم:

بعيدا عن اتيمولوجيا المصطلح التي تعود به الى «desport» الذي ظهر في اللغة الفرنسية ويعني مختلف الوسائل التي تمكن من قضاء وقت ممتع ثم في اللغة الانجليزية «to sport» وتشير الى الألعاب التي تمنح المتعة والترفيه، أما في اللغة الألمانية فيذكر "روثيج" بأن التعريف الدقيق للرياضة أمر مستحيل بسبب التنوع الكبير في المعنى خاصة في اللغة العامية. وكل ما يُفهم تحت مصطلح الرياضة يتم تحديده من خلال التحليلات العلمية لحدودها بدرجة أكثر من الاستخدام اليومي. وتطور ونقل الروابط تاريخياً بالبنى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والقضائية [6].

ومع ما عرفه المصطلح من تطور المعنى والتناول العلمي، فإن الرياضة كعلم تواجه مشكلة ضبط المفهوم بالنظر لوجود أنماط متعددة للممارسة الرياضية، فغموض المصطلح له أساس واقعي يعتمد على حقيقة أن رياضة اليوم تظهر بأشكال مختلفة تماماً ويمكن ممارستها بطرق متعددة. نظرًا لأن الأشكال المختلفة الموجودة تكشف أيضًا عن بعض الميزات المشتركة، وهذا يدعو إلى اعتماد مفاهيم مختلفة للرياضة مفترضة لقبول هذا التواجد المشترك لنماذج مختلفة منها، وتمثل هذه النماذج تجلي الفردانية في تبني مفهوم تقليدي للرياضة، بينما يرى "هاينمان" أن التطور المستقبلي سيظهر ميدان القوة بين ثلاثة أقطاب والتي يمكن توصيفها بمصطلحات: الرياضة الترفيهية، والرياضة التنافسية التجارية والرياضة الأداتية[7]. وهو نفس المنحى الذي انتهجه المجلس الأوروبي Council of Europe (COE, 2001) في فهم الرياضة والذي يرى بأنه يجب اعتبار رياضة "كل أشكال النشاط البدني التي، من خلال مشاركة عرضية أو منظمة، تهدف إلى إظهار أو تطوير اللياقة البدنية والسلامة العقلية، لتشكيل علاقات اجتماعية أو الحصول على نتائج من المنافسة في أي مستوى"[8]. ويظهر من هذا التعريف شمول المعنى بالإشارة للنشاط البدني وما يتضمنه من عموم الممارسات البدنية، وكذلك بعض التخصيص الذي حمله مفهوم المنافسة نظامية كانت أم عرضية.

ويشير "Shillinh.K " إلى أن تعريف "الرياضة" قد تغير تاريخياً، ولكنه يستخدم الآن لوصف تلك الأنشطة والألعاب التي أصبحت سباقًا تنافسياً بين الفرق أو الأفراد[9]. ويصب تعريف "كريتشمار" في سياق حصر المفهوم فعلم الحركة "kinesiology" "في الجامعات الأنجلو أمريكية هو: "دراسة الحركة البشرية والنشاط البدني بكل أشكاله ومظاهره تقريبًا"[10]. والوصول الى تعريف دقيق قد يستلزم، كما رأينا، النظر إلى البنية المشتركة واستخلاص الاختلافات التي قد تميز بين الأنشطة المختلفة وحصر معنى الرياضة من بينها، وتتجه في شق منها إلى اعتبارها "لعبا"[11]. ويُفصِّلُ "شميتز" في ذلك مؤكدا بأن الرياضة هي في المقام الأول امتداد للعب وتستمد منه قيمها المركزية. وعنصر اللعب في الرياضة هو المسؤول عن تحققها الكامل. وحسبه لا توجد علاقة منطقية بينهما ولا حتى علاقة وجودية أنطولوجية، إن تعليق المألوف هو العنصر الحاسم في الحفاظ على الرياضة

كممارسة إنسانية شرعية لذلك هذا العنصر شرط ضروري للرياضة[12]. يضع "سونتز" شرطا آخر ليميز الرياضة عن اللعب وهو الاستقرار المؤسسي بمعنى الحصول على الاعتراف كتنظيم organisation فالرياضة لعبة ذات قواعد تتضمن مهارة استخدام الجسم قد حققت الاستقرار المؤسسي[13].

تنطلق بعض المحاولات من تحديد السياق الاجتماعي للممارسة الرياضية وفصلها عن باقي الممارسات الاجتماعية التي تقترب من نفس المعنى، فالرياضة بالنسبة لـ "Magnane" "هي نشاط ترفيهي حيث يغلب الجهد البدني، مشارك في نفس الوقت اللعب والعمل، يمارس بشكل تنافسي، يتضمن قوانين وهيئات خاصة ويمكن أن يتحول إلى نشاط مهني"[14]. وفي نفس الاتجاه يذهب " Parlebas " فبالنسبة له اللعب الرياضي "وضعية حركية للمواجهة المقننة، والتي تسمى لعبة أو رياضة من قبل الهيئات الاجتماعية" ويحدد أربعة معايير موضوعية ومهمة لتعريف الرياضة، فالرياضة هي ذات طبيعة حركية، مقننة، تثير التنافس وتتمظهر مؤسساتيا[15]. وبشيء من التدقيق يرى "فريزل" أن "الروح الرياضية هي الوسيلة بين الجدية المفرطة، التي تسيء فهم أهمية روح اللعب، والشعور المفرط بالمرح، والذي يمكن تسميته بالغباء والذي يسيء فهم أهمية الفوز والإنجاز عندما يكون اللعب تنافسياً. فالرياضة الجيدة هي الرياضة الجادة وغير الجادة"[16].

ينتقد "McBrid" كل محاولات ضبط تعريف للرياضة فحسبه لا التقليص ولا التمديد لمعنى الرياضة يجعلها أكثر وضوحا، وهو ما يعني أن حدودها ليست واضحة المعالم مما يجعل محاولة تحديد مفهوم مركز تنتهي إلى الفشل، فقد اكتسب العديد من المعاني والاستعمالات، البعض منها لا علاقة له ببعضها الآخر[17]. يعزز ذلك الاعتقاد لدينا أنه من الممكن أن نورد عديد الرؤى حول ماهية الرياضة لتوضيح مدى التفاوت وعدم الضبط في وضع تعريف دقيق للرياضة لكن سنصل إلى خلاصة مفادها كما أوضح "برينكلي" أنه حتى أولئك الذين يعتقدون أنهم يعرفون ما هي الرياضة لا يعرفون حقًا. على سبيل المثال، تكشف الإجابات عن مسألة ما إذا كانت الرياضة الاحترافية هي "رياضة" أن الرياضة في الاستخدام اللغوي اليومي لا ينظر إليها إلا كما تظهر كأشكال وقواعد، ولكن ليس على متصل continum العمل ووقت الفراغ مثلا. يشير مصطلح "الرياضة" إلى ظاهرة شديدة التعقيد ومتعددة الأوجه تخضع إلى حد كبير للتغيير التاريخي[18]. إن تعقيد التعريف الصحيح لمصطلح "الرياضة" وإيلاء الاهتمام لرؤى ومقاربات D Koukli، E Danninh اللذين أشارا إلى أن محاولة إدخال تعريف شامل لمصطلح "الرياضة" الذي يمكن تفعيله في أي بيئة ثقافية ثبت أنه وهمي. في رأيهما، فالتعريف الوحيد لمثل هذه المؤسسة يمكن مقارنته فقط بمفهوم "الدين"[19].

وكل ذلك يعتبر مقدمة للنظر في علمية الرياضة، حيث يتجلى مما سبق أن تعريف الرياضة ينتقل بين نطاقات انطلولوجية وأمبريقية متداخلة يصعب معها التأشير على ماهية الرياضة. لكن مع ذلك يمكننا القول بأن الحاجة لوضع التعريف الدال تسببت في التشكيك الابستمولوجي على الرغم من أن الفهم العام يستطيع بكل سهولة تحديد ما هو رياضة، لذلك اعتقد بأن المسار العلمي الذي تنتهجه علوم الرياضة يغنيها عن التعريف بذاتها وأنه يجب إعطاء هذا المفهوم نفس الدلالات التي تقفز الى الذهن عندما نذكر أن هذا الحدث وهذه الممارسة هي رياضة. وتصبح الرياضة هي **كل ممارسة يتم من خلالها توظيف الجسم حركيا لأداء مهارات بدنية ونفسية وعقلية فرديا أو جماعيا لأغراض تنافسية أو ترفيهية أو تربوية.**

لكن هذا التبسيط لا يحل مشكلة العلمية قطعيا، حيث يفتح المجال للعودة خطوات أخرى ومراجعة موضوع علم الرياضة بحد ذاته، والذي يبدو هو الآخر هلاميا متمددا لا يسعه مجال بعينه، مما يعيدنا الى نقطة الصفر رغم

شكوكنا حول دقة القول بأن الرياضة هي مادة علمية على الرغم من التقدم الذي تحرزه في عصرنا على مستوى الأبحاث والحضور الأكاديمي.

2-1 مشكلة الموضوع:

بالإجابة على سؤال ما هي الرياضة؟ يمكننا من أن ندرك أنه قد لا توجد رياضة ككائن بحد ذاته. لا توجد الرياضة بنفسها (من تلقاء نفسها)، كأي شيء مادي. فهي ظاهرة ترتبط دائمًا بشخص "يلعب" أو "يمارس" الرياضة ويمكنه أن يحدد طبيعة ممارستها وإعطائها معنى لذاته. مما يجعل منها مفهوما يتمحور حول أنشطة بدنية معينة في سياق اجتماعي محدد وأهداف متباينة. فالرياضة "مرتبطة بالفرد: الإنسان يلعب ويقوم بالرياضة، ويشاهد الرياضة، ويفهم الرياضة ويلقي أحكاما على الرياضة. الرياضة لها معنى بالنسبة لنا فقط وليس لذاتها"[(20)]. هذه الصعوبة في تحديد مفهوم الرياضة لها انعكاس مباشر على تحديد الموضوع في علم الرياضة، من حيث إن تعريف علم الرياضة يجب أن يستند إلى معناها الجوهري لترسيم حدودها من بين باقي العلوم الأخرى التي قد تشترك معها في الاهتمام بالظاهرة، لكن يبدو أن ذلك من الصعوبة بمكان. ولقد أصدر العديد من الباحثين في ذلك أعمالا فلسفية لمحاولة مراقبة إشكالية تنوع مواضيعها. وكان ذلك سببًا لتشتت أو حتى انفجار مفاهيمي ومعرفي حول بؤرة الاهتمام أو مادة علم الرياضة. وانتهت العديد منها (وليست كلها كما سنرى مع دعاة التعددية) إلى مسألة إعادة تركيزها على موضوع موحد مشترك قادر على إضفاء خصوصية قوية وهوية واستقلالية. ومع ذلك، فإن المشكلة لم تحل نهائيا، فقد اتضح بأن المواضيع القادرة على توحيد المجال تختلف من مؤلف إلى آخر حسب نظرة كل منهم وهو ما صعب مجددا مهمة تحديد الموضوع.

وتتبنى العديد من التعاريف والرؤى النظرة الأحادية الاختزالية لمفهوم الرياضة، وهي المقاربة التي يمكنهم من خلالها التمهيد لوضع معرفي للعلم، وإبراز التمييز بين موضوعه وباقي المواضيع الذي يحدد بعد ذلك مجال البحث المناسب. ويعتقد Rodríguez.P أننا نستشعر أن التربية البدنية والرياضية هي تخصص علمي يتعامل مع مجال دراسة الحركة البشرية كعامل تعليمي[(21)]. وهو نفس ما جاء به "سكوت كريتشمار" من أن علم الرياضة هو: "دراسة الحركة البشرية والنشاط البدني افتراضيا بجميع أشكاله ومظاهره"[(22)]. والملاحظ أنها عوض أن تضيق المفهوم فتحت المجال لكل ما هو نشاط بدني بشري دون تحديد سياقه ولا أغراضه. وبهذا المعنى مَيَّعَتْ المفهوم ولا يمكن من خلاله استبعاد الأنشطة الحرفية مثلا وهي أبعد ما تكون من معنى الرياضة. فهو بذلك يقود إلى علم يبحث في كل شيء على اعتبار أن الحركة والسكون هي طبيعة بشرية ملازمة للإنسان في الكثير من أنشطته اليومية التي تأتي ضمن سياقات مختلفة وبأغراض متباينة. مما يجعل من هذا العلم علما مشتتا لا يمكن تركيز نظرياته ومناهجه وكذلك توصيف نتائجه علميا.

لكن هذه الشمولية لا تمثل عائقا حقيقيا أمام تحديد موضوع علم الرياضة، فبالنسبة لـ Parlebas الذي يرى على العكس تماما بأن تجزئة الرياضة تجعلها خاضعة للفروع العلمية الأخرى وتتماهى فيها حتى لا تكاد تظهر معالمها بشكل مستقل، وأنه لتركيز هذا التشتت فإنه يجب تركيز علم الرياضة حول موضوعه الخاص الذي هو السلوك الحركي ويصبح العلم هو البراكسيولوجيا la praxéologie أو علم الممارسة الحركية. ولتطوير علم جديد (علم الحركة)، ورفض أي تبعية لعلم آخر، بتمييز أنفسهم عن التخصصات العلمية الأخرى، يمكن لمختصي علم الرياضة تطوير متن معرفي أصلي ليس تكرارًا لما يفعله الآخرون، كما يقول، ويمكنهم تجهيز أنفسهم بهوية قوية، والتغلب على انهيار المعرفة بهذه الفسيفساء من التخصصات المتنوعة. مثل هذه الوحدة والتجانس بدءًا من

موضوعها ستجعل من الممكن إضفاء الشرعية والاعتراف بعلم الرياضة كنظام علمي في حد ذاته[23]. وفي المقابل يختزلها البعض في موضوع "الجسد" على اعتبار أن الرياضة هي تعابير جسدية، وكما يقول "جونسون" الأجسام المتحركة تتمتع بقدرة غير عادية على إحداث معنى في النشاط البدني[24]. وهو ما بدا لدى "Gleyse" أن الموضوع الوحيد الذي يمكن أن يوحد شتات علم الرياضة هو موضوع الجسد، وأنه الوحيد القادر على تركيز المقاربات وتوجيه الأبحاث[25]. يطور "Léziart" إستراتيجية حجة متجانسة بدءًا من ملاحظة اعتماد النشاطات البدنية والرياضية على العلوم الداعمة على أساس البحث عن الشرعية الأكاديمية، ويقترح المؤلف كسابقيه إعادة تركيزها على موضوع أصلي وموحد. فالأمر في النهاية لم يعد يتعلق بالسلوك الحركي أو الجسدية البشرية بل يتعلق بالممارسات والممارسين والمهنيين (des pratiques, des pratiquants et des praticiens)[26].

هذه المقاربة، التي تعرّف العلم من خلال موضوعه المحدد، لا تخلو من القوة، ولكنها تطرح بعض المشكلات المهمة. فالسلوك الحركي الذي من المفترض أن يوحد العلم، يغطي في الواقع عدة معانٍ خارج الرياضة وحتى داخلها لا علاقة لها ببعضها البعض ولا يمكننا الوقوف حقيقة على المحك المشترك، عندما نستخدم تعبيرا بين دراسة الحركة الفنية لمسافة مائة متر، وتحليل الحركات الأكروباتية، أو ممارسة الطقوس الجسدية في السياقات الاجتماعية والثقافية. وكذلك الحال بالنسبة للجسد الذي يعتبر في حد ذاته شاملا وغير محدد، إذْ تشترك العديد من التخصصات في هذا الموضوع، كما أنه يطرح المشكلة بشكل مغاير تتعلق بالتقابل بين الجسد والذهن أو العقل في الرياضة، فالرياضة وإن كانت تمظْهُرا بدنيا لكنها أيضا جهد وأداء نفسي وعقلي يؤثر عليها بنفس درجة الجهد البدني لذا فهذا الحصر هو في الحقيقة إخراج للرياضة من حقيقتها الجوهرية. لذلك لا يمكن الفصل في موضوع الرياضة واختزاله في الحركة أو حتى في موضوع الجسد في ظل ما يثبته الواقع من تمظهر الرياضة في أنماط مختلفة من السلوك البشري كالاتصال والتفاعل والمؤثرات النفسية والاجتماعية وكلها مجتمعة تعطي المظهر العام للرياضة، المظهر الحيوي الذي يعطي الرياضة معانيها لدى الممارس والمشاهد فهي ليست مجرد أداء حركي معزول أو عفوي إنما يأتي ضمن سياق وبمعانٍ وأغراض محددة يشترك في فهمها العديد من الفاعلين المباشرين وغير المباشرين. ثم من المفترض أن ينتج هذا الموضوع "أحادية نظرية" معينة ويستند الى منهجية خاصة، لكننا لا نرى كيف يمكن لمثل هذه الأحادية أن تتجاوز "التعددية النظرية" الحالية للرياضة وتنوع المشكلات البحثية الميدانية.

لكن في مجال علم الرياضة، فإن الموضوع، على غموضه، لا يَعْدُ عن كونه الإنسان في حركة. لأن الرياضة تتضمن بطريقة ما الإنسان بكل خصائصه المتنوعة، ولا يمكن اختزالها في مجرد حركة جسدية[27]. ومع ذلك فإلى الآن يمكن القول بأن الرياضة لا تملك موضوعا محددا تختص به بالبحث والتنظير، وهو بالنسبة لـ "بوبر" ليس بالعيب، ويقدم انتقادا لحتمية ربط أي تخصص علمي بموضوع بعينه، ويشير إلى أنه من الخطأ التفكير في أن التخصصات العلمية تتمايز بموضوعها الذي تبحث فيه، فبالنسبة له هذا لا يكون متاحا إلا في المستويات القاعدية، كما أن هذا التفكير هو ساذج إلى حد ما لأنه يفترض وجود وحدات كالفلسفة، أو الفيزياء أو البيولوجيا وأن لها خاصية أو جوهرا أو طبيعة معينة وهذا خطأ. فنحن لا ندرس المواضيع ولكن ندرس المشكلات والتي قد تتقاطع وتتخطى إلى تخصصات أخرى[28]. وتضيف "Jacqueline Feldman" عندما يتعلق الأمر بنظرية المعرفة، فإن العقيدة الحالية تعتبر أن، كما هو الحال بالنسبة لجميع العلوم، "الموضوع العلمي" يتم بناؤه وتعيين حدوده نسبياً حيث يمكن استخدامه والتعامل معه وإدراكه بطريقة توافقية. بعبارة أخرى، تصوره "موضوعيا".

ويتضح على الفور أن ما يهم في هذه الحالة ليس الموضوع نفسه بقدر ما تهم الطريقة التي ينظر بها الناس إليه والأغراض والرموز والمعاني المرتبطة به[29].

على الرغم من ذلك، علينا الإقرار بأن علم الرياضة يواجه بالفعل مشكلة الموضوع الذي لا يمكن تحديده بالدقة الموصوفة، لكن يمكن تجاوز ذلك معرفيا بالنظر للكم والنوعية العلمية التي تقدمها البحوث في مجال الرياضة، فلا أحد ينفي إمكانية الطرح العلمي لأي ظاهرة متعلقة بالرياضة والأداء الرياضي ولم يشكك أحد من قبل في النتائج المحصل عليها على نفس القدر مع العلوم الأخرى. وإن كان هذا قد لا يشفع للرياضة ولا يعطي صفة العلمية بشكل مطلق للرياضة، فالتفسير العلمي هو استحضار نظريات علوم أخرى في سياقات مغايرة ليس بالضرورة أن تكون مفسرة لظاهرة رياضية معينة على اعتبار أنها تحدث في سياق خاص هو المنافسة مثلا، كما أن التنبؤ والضبط العلمي قد يفقد الظاهرة جوهرها فكيف يمكن مثلا تقييم الأداء في الجمباز وضبطه، وصعوبة أخرى مرتبطة بتغير الوضعيات والمواقف حسب سلوك المنافس والمتغيرات البيئية، بالإضافة لمعضلة التنبؤ، فمن جهة صعوبة التنبؤ ومن جهة أخرى غياب أسباب الممارسة التنافسية إذا كانت النتائج معلومة مسبقا. كل ذلك هو نقص وطعن في علمية الرياضة كتخصص مستقل.

3-1 مشكلة التَّغايُر المنهجي والقياس الموضوعي:

وفقا لـ "غيوم"، فإن استقلالية العلم ترجع إلى الدفاع عن عقد منهجي من شأنه أن يسمح بترسيم حدود تدخل العلم، مجال استقلاله. في هذا الإطار، لا يتم استقلال العلم من خلال قوة نتائجه ولكن بواسطة متانة منهجه[30]. ما يدفعنا إلى القول بأنه من الضروري أن تثبت الرياضة تفردها بمنهج يضمن سيرورة البحوث العمية ودقة نتائجها، فالكشف عن ماهية الظواهر الرياضية وبلوغ الثبات النظري هو بالأساس التزام منهجي يضمن الانتقال البحثي من الغموض والإستشكال إلى الفهم والتفسير ومن ثمة الضبط والتنبؤ. لكن الرياضة وكما سبق الإشارة إليه تتميز بشمولية الموضوع حيث تتوزع العوامل المتحكمة في الظاهرة الرياضية بين عديد الفروع العلمية الأخرى ما يعني تعدد المسارات البحثية وبالتالي مقاربات منهجية متباينة وهذا لحتمية الصلة بين الموضوع والمنهج، فكل موضوع يحمل من السمات في جوهره ما يميزه عن غيره ويستلزم تفكيرا منهجيا مغايرا، ولما كانت الرياضة على هذا النمط من التشعب فإن جزئية المنهج تطرح انشغالا حقيقيا للمدافعين عن علمية علم الرياضة.

ويعتقد "K. WilIimczik" أن مجموعة المشكلات المتعلقة بالعلوم الأساسية الخاصة بعلوم الرياضة ترتبط بمسألة ما إذا كان من الضروري تطوير منهجية بحث خاصة بعلوم الرياضة وبناء نظريات خاصة بالرياضة. وتؤدي مجموعة المشكلات المتعلقة بتعقيد المشكلات العملية في الرياضة إلى التساؤل حول كيفية دراسة هذا التعقيد بشكل مناسب فيما يتعلق بالعلوم. ويرى أنه بالنسبة للسؤال المتعلق بضرورة منهجية بحث معينة يتوافق مع الجدل حول العمومية مقابل الخصوصية. على الأقل على مستوى منهجية البحث، وتم حسم الجدل حول العمومية مقابل الخصوصية لصالح الخصوصية. خاصة فيما يتعلق بالبحث في الرياضة التنافسية[31].

في الحقيقة لم يقف الباحثون في علم الرياضة أمام مشكلة منهج، والممارسة البحثية لم تجد عائقا منهجيا يحول دون الوصول إلى نتائج بحثية وتحليلها، صحيح أنه يتم الاستنجاد بمناهج من علوم أخرى لكن هذا لا يعني بالضرورة طعنا في علمية الرياضة ما تَوَفَّرَ الالتزام المنهجي، ومن ناحية أخرى هل الامتثال المنهجي هو ميلاد علم بعينه، فالعمل المهني كالحدادة أو الحلاقة أو غيرها إن كان منهجيا هل يمكن أن يرتقي الى أن يوصف بالعلمية كعلم الحدادة أو علم الحلاقة؟ بالطبع لا يمكن ذلك إنما ستبقى مجرد فنون مهنية قد تستند إلى معارف

علمية لكنها ليست بعلم. ولعل هذا ما دفع "هوستا Hosta" إلى التأكيد على أن السؤال كيف نفكر في الرياضة؟ ربما يكون هو الأهم قبل أن ندخل إلى البحث في الرياضة، ومسألة المقاربة المنهجية هي مهمة لأن المنهج أو تقنية البحث هي في أيامنا ليست فقط وسيلة للبحث في الموضوع لكنه القوة التي بطريقة معتبرة تحول الحقيقة التي نحاول البحث فيها[32].

وبالعودة إلى ماهية الرياضة والتي تَأكَّدت صعوبة تحديدها يمكننا أن ندرك أنَّ الرياضة لا يمكن قياسها تجريبياً أو حسابها رياضيا فهي بالأساس مرتبطة بالفرد الممارس وكل ما يمثله هذا الفرد هو موضوع يستوجب الدراسة، فإنْ كانت الجوانب البدنية تخضع لشروط المناهج التجريبية ويمكن قياسها، فإننا عند التحول الى الجوانب الأخرى المتدخلة في الأداء الرياضي نجد أنفسنا أمام تحول في التفكير والطرح الإشكالي وهو ما يعني مناهج أخرى مغايرة والمقصود بالذات هي العوامل غير المادية. وما يمكن ملاحظته اليوم أن إجراءات القياس والاختبارات العامة ليست صالحة بشكل كافٍ، ويستدرك "K. Willimczik" نُصْرَتَهُ للخصوصية بتأكيد أن الطلب عليها لا يعني تجاهل المعرفة المنهجية لعلوم الأم تماماً. وأن عالم الرياضة عادةً ما يتخذ إجراءات الاختبار من الميكانيكا أو علم النفس أو علم الاجتماع أو علم التربية كنقطة انطلاق لاعتباراته. ومع ذلك، لا يمكن إجراء البناء النهائي لأدوات القياس إلا من قبل عالم الرياضة، أو من قبل عالم لديه معرفة متباينة حول المجال الرسمي للرياضة. بهذه الطريقة فقط يمكن التأكد من أن الاختبارات تقيِّم بشكل صحيح الجانب المتعلق بالرياضة[33].

وبين إمكانية القياس من عدمه تبرز مشكلة أخرى مقترنة بالمنهج التجريبي بالذات، فالرياضة في جملتها لا يمكن وصفها في فئات من المتغيرات المادية والأرقام كما نفعل مع الأشياء المادية عندما نقيسها، أو كما نضع في المعادلات الرياضية قوانين الطبيعة المادية. فقط يمكننا قياس الجسم البشري المادي وحركته. وبالتالي صعوبة الاختبار التجريبي وإعادة بناء الواقع مخبريا، وهذا ببساطة لاختلاف السياق واستحالة تقريبا نقل الصورة الفعلية للحالة أثناء الممارسة وإعادة إنتاجها كما هي والتحكم فيها. ويميل العلماء الذين لم يقبلوا هذه النقطة بَعْدُ إلى الادعاء بأن العلم "أكثر موضوعية" من المجالات الأخرى للدراسة، أو أنه فقط إذا تمت دراسة موضوع معين أو عملية معينة بطريقة علمية فسيتم التعامل معه بموضوعية، فالحركات التقنية التي يؤديها الرياضي يمكن مثلا إعطاؤها قيمة معينة وفق قياسات بيوميكانيكة محددة لكن هذه القياسات ليس باستطاعتها أن تكشف عن المعاني الجمالية التي قد تمنحها إسقاطات مغايرة في ذهن المتابع أو الممارس نفسه. كما أن الأداء أو المباراة في شكلها النهائي هي تدخل عدة عوامل بشكل متزامن لا نعلم أيها أثر بقدر على حساب الآخر لتعذر الاقتراب منها جميعا بالقياس الموحد. لذلك أكد "K. Willimczik" أيضًا على مشاكل في منهجية البحث ذاتها. وتكمن في أن المشكلات العملية معقدة بشكل عام لدرجة أن عدد وحجم أدوات البحث يمكن أن تثقل كاهل المبحوثين. إذا كان المرء مثلا مهتمًا بمسألة العوامل التي تحدد التعلم في نوع من الرياضة مثل التجديف، فيجب أن يُتوقع من المتعلم أو الشخص الخضوع لاختبارات حركية لقياس خصائص التحمل والقوة والتنسيق والسرعة والمرونة، ومعها يجب إجراء مقابلة معه حول دوافع الأداء، والقلق (بأبعاده المختلفة)، وما إلى ذلك[34]. ثم لو دققنا أكثر والتفتنا الى تجربة التعلم وطرقها وآلياتها، لوقفنا على ضرورة تطوير تقنيات ومقاييس متخصصة لرصد التغذية الراجعة السريعة للمعلومات وفحص مدى تحققها بناءً على الاعتبارات الموقوفة مسبقا.

الرياضة على هذا النحو مفهوم/فكرة حول حركة جسدية بشرية محددة. فعندما نفكر في الرياضة فنحن نفكر في هذه الحركة والتي لها أغراض خاصة. لكن هذه الأغراض من المستبعد قياسها تجريبيا وهي تنضوي تحت

ميدان البحوث الإنسانية. إذا كان المنهج العلمي موائما تماما للبحث في الرياضة، فإن الافتراض بأن الرياضة هي شيء مادي أي شيء يوجد من تلقاء نفسه ويمكن قياسه يجب أن يكون صحيحا. لكن الرياضة ليست شيئا ماديا ولا يمكن قياسها أو تجزئتها كما تُجزَّأ الاشياء المادية الأخرى. ففي مجال علوم الرياضة، كما يوضح "Jernej Pisk" الموضوع ليس أقل من إنسان متحرك. لأن الرياضة تحتوي بطريقة ما على إنسان بكل خصائصه المتنوعة، فلا يمكن اختزالها في مجرد حركة جسدية. لذلك هناك حاجة إلى التعايش بين المقاربات المنهجية المختلفة. يمكن أن يؤدي التركيز على المقاربة المنهجية التجريبية تجاه الرياضة إلى تصور ثنائي للغاية أو مادي للواقع والرياضيين والرياضة بهذا الشكل. لا مكان فيها للإنسان كشخص، ولوجوده الفطري[35].

إن النظر في المنهج بالنسبة للرياضة قد يزيل شيئا من الحرج عن دعاة علمية الرياضة ويورط أكثر خصومهم، فالانتقاد الموجه من حيث غياب منهج واضح دقيق لتأطير البحوث في ميدان الرياضة والاستناد إلى مناهج العلوم الأخرى تفلت الرياضة من المعرفة العامية وتبرز الدقة العلمية بتجاوز التفرد والتوجه نحو التعددية المنهجية التي تفسر أكثر حقيقة الظاهرة بأبعادها البدنية والنفسية والاجتماعية، ومن جهة أخرى فإنه لا يمكن النظر إلى تعدد المناهج إلا كما ننظر إلى تعدد أدوات البحث في العلوم الإنسانية التي لا تفاضل بينها ولكن تضعها كخيارات أمام تعدد الرؤى والمنطلقات البحثية وطبيعة الظاهرة المبحوثة. لذلك ليس عيبا ابستمولوجيا ألا تحوز الرياضة على منهج خاص طالما كانت المنطلقات الفكرية والسيرورة البحثية أقرب إلى الموضوعية بغض النظر عن المنهج المتبع.

2- الملاذات الابستيمولوجية لعلم الرياضة:

مشكلة العلمية بالنسبة للرياضة هي على الأرجح ابستمولوجية صرفة ولا مناص لها من الابستمولوجيا من أجل حلها. والظاهر أن الإفراط في العلمية أو ما يسمى "العلموية" "scientism" قد حمل نظرة استعلائية تسلطية أحدثت عقدة دونية لزمت المعرفة العلمية في الرياضة وجعلها تصارع لاكتساب الشرعية. وقبل التساؤل عن اليقين وحقيقته والتحرر من سطوة العلموية، فتحت الرياضة منافذ ابستيمية تسللت عبرها وتقدمت خطوات نحو العلمية بالالتفات إلى ذاتها دون عقدة والنظر في ماهيتها، فكان لطبيعتها التعددية من جهة، ونزوعها نحو التقانة والحرفية من جهة أخرى الفضل الكبير في تدارك ثغرات الهوية المذكورة آنفاً.

2-1 الطبيعة التعددية؛ من علم إلى علوم الرياضة:

تعتبر المقاربة الاختزالية والاختزال (كما جاء فيما سبق) كأدوات نظرية لتبسيط التعقيد المفرط لموضوع "الرياضة" والنشاط البدني عموما، ولكنها أكدت في المقابل أنها تولد عواقب سلبية على الممارسة العلمية والعملية في سعيها إلى تبسيط المواقف والسمات عند التعامل مع المشاكل المتعلقة بالرياضة. على سبيل المثال، كما يوضح "هربرت هاج"، تم تقسيم دراسة الرياضة إلى سبعة مجالات: الطب الرياضي، والميكانيكا الحيوية الرياضية، وعلم النفس الرياضي، وعلم التربية الرياضية، وعلم الاجتماع الرياضي، وتاريخ الرياضة، وفلسفة الرياضة، ومع ذلك، فإن هذا التخصص المفرط دمر بشكل تعسفي وحدة وتعقيد الواقع (الرياضي) وجعل العلوم عمياء عنه[36]. تميل هذه المواقف والعادات النظرية إلى تبسيط الطبيعة متعددة العوامل لعلوم الرياضة واستخدام لغة واحدة فقط لشرح (وحل) مشاكلها، ومنها اسم مفرد "علم الرياضة".

وقد توضح من خلال مشكلات الموضوع والمنهج أن علم الرياضة في جوهره يقترب أن يكون مَصَبًّا معرفيا يربط الصلة بعلوم أخرى عبر مناهجها ونظرياتها لتفسير ظواهره، بمعنى آخر إنه يسير عكس المسار الأول الذي

يميل إلى التركيز على مجال فرعي واحد لعلوم الرياضة، مع كون الغالبية العظمى منه عبارة عن علم وظائف الأعضاء أو الميكانيكا الحيوية أو علم النفس الرياضي. يتطلب البحث متعدد التخصصات مجموعة من المعرفة و/أو المناهج من أكثر من مجال فرعي واحد لعلوم الرياضة. في أبحاث علوم الرياضة متعددة التخصصات، قد يشمل ذلك مجموعة من الأشخاص من تخصصات فرعية مختلفة يعملون على موضوع مشترك في نفس الوقت. مع البحث متعدد التخصصات، فالعلاقات يجب أن تكون أقوى بكثير حيث يلزم تكامل المعلومات من أكثر من مجال فرعي واحد لعلوم الرياضة منذ بداية برنامج بحث معين(37). في سياق آخر، كتب "Wing" بأن اللعب والألعاب والرياضة هي فئات جيدة للتداخل وبالتالي ربط التخصصات التي يتم وضعها في جانب أو آخر من الفجوة بين العلوم الإنسانية والعلوم. ومن ثم، فإن الميدان، نظرًا لموضوعه، يمكن أن يدمج العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية... . بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن تعمل الرياضة كمختبر اجتماعي للعلوم الاجتماعية بشكل عام(38).

مع أن هذه التعددية في الحقيقة هي اتجاه آخر لفهم الظواهر بشكل مستعرض بالنظر إلى بعض التعقيد الذي يشوبها ويتم فيها إشراك العديد من العلوم لتفسير ظاهرة ما أو بناء نظرية علمية في مجال معين، فقد دعا "باتريك سوب Patrick Suppes" من خلال نشر نص عام 1978 في شكل نداء إلى مجتمع الفلاسفة العلم إلى الأخذ في الاعتبار تعدد العلوم، وصرح أن الوقت قد حان لإدراك أن العلم لا يمكن اختزاله في منهج أو في لغة أو في موضوع واحد، لذلك حان الوقت لإدراك الطبيعة التعددية للعلوم داخليا ووظائفها(39). كما صرحت أيضا "Vertinsky" فيما يخص العلاقة بين العلوم والعلوم الإنسانية أنه علينا ترميم الفجوة المُخْتَلَقَة بينهما من خلال تبني موقف متعدد التخصصات بالترويج لما يطلق عليه الفكر ثنائي اللغة "intellectual bilingualism" وهذا يعني أن على الباحثين في أحد التخصصات بذل الجهد لفهم ما يجري على الأقل في مجالات البحث في العلوم التي تشترك معهم في الخلفية، على الأقل. يحتاج الباحثون إلى الإلمام بكل من الدراسات النوعية والكمية ومناهج البحث(40). وليس ببعيد، يؤكد "فييرابند" أنه من الغريب الحديث عن العلم في صيغة المفرد، بدلاً من "العلم"، يجب استخدام "العلوم". بالنسبة له، العلوم تعددية لا تملك بنية مشتركة وتمثل تعددية الطبيعة كما هي في الواقع، وهو موضوع العلم الذي يُنظر إليه من وجهات نظر متنوعة. لهذا السبب، فإن فكرة المنهج الثابت لنظرية ثابتة للعقلانية هي فكرة ساذجة. إنها نتيجة الجهل بالأحداث في المحيط الاجتماعي للفرد. بالنسبة له، لا يمكن إلا للمقاربة التعددية في العلم أن تهزم الاستبداد المتأصل في العلم الحديث وفلسفته(41). وقد أصَّل "إدغار موران" نظريا لطريقة التفكير هذه بتقديم نظرية التعقيد التي تضع هدفا رئيسيا لها تأسيس علم جديد على أساس التكامل. حيث تؤكد هذه على حقيقة أن مواضيع دراستنا لا يمكن أخذها بمعزل عن الأنظمة المغلقة، بدلاً من ذلك، يجب أن يُنظر إليهم على أنهم متشابكون بشكل جذري مع بيئتهم(42). تماشياً مع هذه الفكرة، يجادل "تون يورج" بأنه يتعين علينا "تعقيد" أهداف دراستنا لإدراك الصورة الكاملة(43).

وقد تلقفه المختصون في علم الرياضة وكان المنفذ لإبراز علميتها فهي التجسيد الواقعي لهذه التعددية. بل يرى البعض أنه من الواجب أن تنظر علوم الرياضة إلى الرياضة كما قال "هاجيس" على أنها "مجموعة من الأشياء (القضايا والمشاكل) لها سياق. من خلال التحقيق فيها كموضوعات معقدة. عند القيام بذلك، يجب عليها اعتبار الاختلافات والتنوع والخصائص والسمات الرياضية على أنها الغرض العلمي من أجل فهم ما يكمن تحته، وإنشاء حس بمبادئه التوليدية، والبحث عن بنيته العميقة، وتجنب ارتكاب خطأ القيام بتحليل اختزالي/مختزل له(44). في الآونة الأخيرة، أيد "إليوت" أيضًا الحاجة إلى مزيد من البحوث متعددة التخصصات وسلط الضوء على أهمية

توحيد علماء الرياضة بالقول: " نادرًا ما يكون سؤالًا معقدًا تتم الإجابة عليه من خلال بحث قائم على تخصص علمي واحد. ومن ثم، يجب أن يتحد عالم الميكانيكا الحيوية مع اختصاصي فسيولوجيا التمرين والكيمياء الحيوية وعالم النفس الرياضي وأخصائي التطوير الحركي لتصميم بحث مناسب"(45).

كما يلاحظ كرتشمار Kretchmar، أنه تم إنشاء العديد من الصوامع داخل العلوم الرياضية من أجل دراسة هذه الظواهر. كل صومعة لديها حق الوصول إلى جزء من الواقع وتوظف طرق بحث مميزة لقياس وفهم موضوعها. ويدافع عن أن جدران الصومعة يجب أن تصبح أرق وأكثر نفاذية(46). والغرض هو التداخل الذي يسمح بدراسة متعددة الجوانب لظاهرة تحمل من التعقيد ما يصعب به فهمها بفكرة أحادية لعلم متفرد، مما يفتح الباب لتبني الطبيعة المعقدة كسمة أساسية للدراسات حول الرياضة (علوم الرياضة)، هذه الطبيعة تُنكِر في صميمها إمكانية بناء منهجية واحدة ونظرية شاملة تجمع بين العناصر النوعية والكمية وتركز على المعاني العامة للرياضة والثقافة البدنية وقيمتها الحقيقية وأهميتها بالنسبة لحياة الإنسان، وقادرة على شرح وفهم الرياضة. بينما يقترح "G.Vigarello" توجهًا آخر من الابستمولوجيا من أجل حل مشكلة العلمية وهوية النشاطات البدنية والرياضية ككل وإن كان قد ورط علم الرياضة أكثر فقد حمله بعيدا عن العلم. فبالنسبة له من الأسطورة الاعتقاد بأنها يمكن أن تنشأ من علم معين لغرضه الخاص. إنها بالأحرى مقاربة متعددة التخصصات وليست علمًا. العلم له طرقه الخاصة، وأشياؤه ونظرياته، مُؤَطَّرة بمهنة. هذا ليس هو الحال معها وفقا له. لأنهم يعتمدون على مدخلات وأساليب تنظيرية واحترافية مختلفة للغاية(47). ثم من المفترض أن ينتج هذا الموضوع "أحادية نظرية" معينة، لكننا لا نرى كيف يمكن لمثل هذه "الأحادية" أن تتجاوز "التعددية النظرية" الحالية لعلوم الرياضة الذي يسمح بحل العديد من المشكلات الهامة المختلفة للغاية.

وعملا بذلك فالرياضة هي ميدان متعدد التخصصات يهتم بالأداء الرياضي، وهي المسار العلمي لتأطير الممارسة الرياضية بهدف تطوير الأداء الرياضي. الذي هو معقد للدراسة لأن مهارة النخبة الرياضية أثناء المنافسة تتكون من التشغيل الأقصى لعديد المتغيرات المتفاعلة بما في ذلك اللياقة البدنية والتأهب النفسي والنمو البدني والمهارة الحركية والإدراكية الحركية(48). لذلك فإنه من المقبول عمومًا أن الأداء الرياضي يحكمه تفاعل معقد من المتغيرات السابقة، على الرغم من أن الأداء الرياضي متعدد العوامل، إلا أن الاتجاه السائد تاريخيًا هو أن تكون أبحاث الأداء الرياضي أحادية الاختصاصات بطبيعتها، أي أنه تم إجراؤها في حدود أحد التخصصات الفرعية لعلوم الرياضة(49).

ونختم بقول "ويليمتشيك" إنه يشار إلى هذه الفترة –فترة تطور علم الرياضة– بشكل صحيح على أنها فترة متعددة التخصصات...علوم الرياضة متعددة التخصصات ومتداخلة التخصصات Cross-disciplinary and interdisciplinary sport sciences والتي تنطوي على تعاون وثيق بين مختلف التخصصات، على الرغم من أن هذه تحدث المشاكل بالفعل، لا تزال هدفا غير محقق. لذلك من المبرر في الوقت الحاضر الحديث عن علوم الرياضة. في المستقبل عندما تتطور علوم الرياضة إلى كلية قد نضطر إلى الحديث عن علم الرياضة(50).

2-2 التماهي النظري والانبثاق كعلم تطبيقي:

وكما هو الحال بالنسبة للمنهج أين يتم اعتماد مناهج علوم أخرى حسب طبيعة البحث وجزئيته المعرفية، فإن البناء النظري لم يكن من منطلقات رياضية وإنما هو استحضار لإرث نظري بعيد عن الرياضة، يتم بواسطته بلورة الفهم وتفسير الظواهر الرياضية، ولم تكن سوى عملية اقتراض تعود النظرية بعدها لتُصاغ في سياقها النظري

الأصلي وإن تكن لبنة في البناء النظري العام للرياضة فهي متفردة وقد تؤدي إلى شيء من عدم التناسق. وهذا ما دفع البعض إلى إرجاء التأكيد على وجود علم قائم بذاته إلى حين تشكل بناء موحد لنظرية الرياضة، وهو ما صرح به "filho" "إن بناء نظرية الرياضة سيظل هدفاً خاصًا يجب تحقيقه هذا لأنه لا يوجد على ما يبدو شيء اسمه نظرية الرياضة بل إن جميع النظريات حول الرياضة تنتمي بطريقة أو بأخرى إلى مجال علوم المنشأ...دعنا نقول إن النظريات العلمية هي تفسيرات حول خصائص وسلوك بعض جوانب معينة من العالم أو التجربة الإنسانية التي يمكن تقديمها للاختبار التجريبي. إذا اتفقنا مع هذا التمييز، فإن عمل العالم يتألف من طرح النظريات واختبارها، فما هي النظريات والاختبارات التي يقوم بها علماء الرياضة؟ هل لديهم أي طريقة خاصة للقيام بذلك؟ الإجابة هي–في الغالب إن لم تكن كلها– أن النظريات في العلم المسمى علم الرياضة تنتمي إلى مجال التخصصات التقليدية"[51]. فكل ما يرد في الأبحاث الرياضية والممارسات التطبيقية في الواقع وإن كانت رياضية المنشأ فإنها لم تتشكل في بيئتها الأولية إنما استُنْبِتت في بيئات أخرى، وتظهر الرياضة في شكل كيان غير مستقل لا يعتمد على ذاته إنما هو متطفل على غيره من العلوم يستقدم منها التفسيرات النظرية والمناهج العلمية.

ولا يرى الكثير من المهتمين أن ذلك عيبا، فيمكن النظر إلى الرياضة على أنها علم تطبيقي على غرار الطب وعلوم الهندسة التي تهتم بالتجليات الواقعية للظواهر في سياقات محددة، ولا تختص بموضوع بعينه أو منهج محدد فالمرتكز هو السياق الذي تحدث فيه الظاهرة وتستمد وجودها منه. وتستند هذه الابستمولوجيا على نظرية "ر. بودون" الذي يؤيد بعض المفاهيم الأساسية التي طورها كارل بوبر: العلم كنشاط لحل المشكلات، أو التخمينات والتفنيد، أو المرور بين الأطر النظرية للنماذج والتخصصات. بالنسبة لبوبر وبودون، نحن لا ندرس التخصصات أو فروع المعرفة بل بالأحرى مشاكل أو ألغاز مع الرغبة في حلها. هذا هو السبب في أن المشاكل أو الألغاز يمكن أن تتخطى حدود أي مجال أو تخصص، وبالتالي، من هذا المنظور، فإننا مبررون تماماً في تصنيف مشكلة على أنها في علوم الرياضة، إذا كانت مرتبطة بالأسئلة والنظريات التي ناقشتها علوم الرياضة تقليدياً، حتى لو كانت الوسائل المستخدمة لحلها تبين أنها بيولوجية أو اجتماعية بحتة[52]. وبطريقة أخرى استعرض "Willimczik" حالة علم الرياضة من منظور مقارن. على الرغم من أنه استخدم المصطلح المفرد Sportwissenschaft، إلا أنه كان عليه أن يقر بأنه لم يتم إحراز تقدم كبير فيما يتعلق بمعياري التخصص: (أ) طرق بحث محددة، و(ب) المعرفة المنظمة (النظرية). بعد ذلك قام بتخفيف هذا البيان وادعى أن العلوم متعددة التخصصات، مثل علم الرياضة، لا تخضع لمعيار فلسفي للتميز فيما يتعلق بأساليب البحث المحددة وتكوين النظرية. بل إن معناها مبرر من خلال إعادة دمج التخصصات المتخصصة، ومن خلال الصلة العملية شارك في هذا الرأي Ries and Kriesi، اللذان أهلا علوم الرياضة كعلوم تطبيقية لأنهما يعتمدان على عدد كبير من العلوم الأساسية المتنوعة من الناحية الهيكلية[53].

نقطة البداية لهذه النظرة التطبيقية هي أن الرياضة تمثل، في المقام الأول، مشكلة تربوية وتعليمية لمجتمعنا؛ أي مشكلة في كيفية بناء وتعليم القيم الرياضية وكيفية تطبيق كل هذه القيم بحيث يمكن إظهارها في السلوكيات والمهارات الشخصية[54]. بقدر ما يتعلق الأمر بالجوانب العملية، التي تنبعث من طبيعة الممارسة المهنية للرياضة، فإنها تميل لأن تكون تقنية تطبيقية لا علماً. ويترتب على ذلك أن المختصين والممارسين يستخدمون البيانات الأساسية لهذه "العلوم الأم" لحل المشكلات التقنية والعملية في الرياضة. فهم كما يقول Hébrard

مهندسون أكثر من كونهم علماء، ويوضح، علماء مأخوذة بمعنى "مصممي أو مبتكري المعرفة الأساسية". ولا يعارض "Bruant وRauch" المهنة الهندسية لعلوم الرياضة والنشاطات البدنية عموما، ولكنهما يشددان على أن المختصين يجب ألا يغيب عن بالهم أبحاثهم الأساسية الخاصة القائمة على العلوم الأم لأسباب معرفية وأكسيولوجية. المعرفية، لأننا اليوم لم نعد نستطيع الفصل بين التفكير النظري والتقني. هنا، لا ينبغي اعتبار علوم الرياضة تقنية أو علما ولكن معرفة جماعية تستند في نفس الوقت على ثقافة عالية التعلم تستمدها من العلوم الاخرى والثقافة العامة والثقافة المهنية[55]. باختصار، يقدم كل من Hébrard و Bruant-Rauch وجهات نظر ابستيمولوجية مختلفة، فالبنسبة لهم لا توجد علوم خاصة بالرياضة ولكن بالأحرى معرفة أصلية وتطبيقية تستمد طابعها العلمي من العلوم الأكاديمية.

بشكل عام قد لا تسمح هذه النظرة باستقلالية علم الرياضة لكنها تقربه أكثر من دائرة أوسع للمعرفة العلمية يلتحق من خلالها بميادين أخرى تحسب على أنها علوم، على غرار الطب وخاصة علوم المهندس والتقنية التي هي الأخرى تطرح تقريبا نفس الانشغال. لكن لم يكن التجرد والتعمق النظري هو الكفيل بإنتاج مادة معرفية مُؤَصلة وإلا لما تم انتقاد الفلسفة وبعض العلوم الإنسانية التي لطالما جُرِّدت من صفة العلمية وأبعدت من دائرة المعرفية العلمية بالمفهوم النظري. فالرياضة أقل درجة من حيث التنظير ولكن ببراعة تطبيقية أكبر تتجسد من خلالها عمليا ومهنيا مختلف المخرجات النظرية لعديد العلوم الأخرى وتقدم في كثير من الأحيان التفسير الأمبريقي لبعض الفرضيات المعرفية خاصة في العلوم الإنسانية حيث تشكل الوسط الشبه مُصَنَّع للمجتمع الخارجي في حالاته الطبيعية والاستثنائية معا مما يركز الفهم النظري والتفسير التطبيقي.

3-2 القيم الرياضية وتلافي النزعة العلموية:

يمكن أن يؤدي إضفاء الطابع المطلق على الطريقة العلمية التجريبية الكمية في مجال علوم الرياضة إلى تدمير الرياضة نفسها. المشكلة التي تحدث في العلوم التجريبية والرياضية الموضوعية هي تحديد النتائج والأشخاص والحياة على هذا النحو. لكن الإنسان يختبر الموضوع ككائن حر. كما أن الرياضة بدون حرية لن تكون رياضة بعد الآن. فإحدى القيم الجوهرية للرياضة هي حريتها[56]. على سبيل المثال: إذا أردنا قياس الرقص، فإن ما نخرجه هو أي شيء ولكن ليس الرقص. المفارقة هي عندما نريد البحث عن الرياضة، في نفس اللحظة نفقدها. ولنأخذ مثالا آخر وليكن مفهوم المنافسة، ما هي المنافسة وما الذي يجعلها ممتعة وهل يمكن بأي حال تناولها تجريبياً وقياس تلك المتعة مثلا كمياً. من الممكن فقط قياس جزء النتيجة المرئي منها، عادةً المعروضة في الإحصائيات في نهاية المباراة. لكن الإحصائيات لا يمكن أن توفي مشاعر الفاعلين أو حتى المتفرجين، فهم يريدون أن يتفاعلوا ويروا مباراة حقيقية بكل "عدم اليقين"؛ يريدون استشعار عناصر القوة، والأسباب العملية التي تظهر الحقائق الإحصائية. وهذا ما وضحه "باري" من خلال المقطع التالي:

"...إذا كنت ترغب في ذلك، يمكنك قياس مواضع جميع اللاعبين في ملعب كرة القدم عند عمل مجموعة متنوعة من" التمريرات الجيدة "، وسرعة واتجاه حركة اللاعبين والكرة، وما إلى ذلك. لنفترض أن هذا سيكون وصفاً علمياً لتمريرات الانقسام الدفاعي. الآن، يمكن تعلم الكثير من الحساب العلمي، ولكن لن يتم تعلم شيء واحد مؤكد: وهو السبب في كونها تمريرة جيدة. يتعين علينا بالفعل تحديد التمريرات الجيدة من أجل معرفة التمريرات التي يجب قياسها، لذا فإن قياساتها لا تشكل معرفتنا بها بل تفترضها مسبقًا. نحن نعلم ما يمكن اعتباره تمريرة جيدة لتقسيم

الدفاع لأننا نفهم ماهية كرة القدم والأسباب التي يمكن تشغيلها فيها. من لا يعرف شيئًا عن العلم قد يعرف الكثير عن كرة القدم" (57).

لذلك يقدم "لولاند" الرياضة كقيمة في حد ذاتها تتجاوز الأهداف الآلية للعلم بمنطلقاته العقلانية والتي أثبتت محدوديتها أمام الظاهرة الرياضية، على الرغم من إقراره بالدور المتزايد للعلم في تطويرها. وبالتالي فهو يدعم فكرة التميز البشري، بالإضافة إلى التميز الرياضي (العلمي). في هذا الصدد، يعتبر لولاند التركيز الحالي على العقلانية العلمية تهديدًا للقيم (الإنسانية) للرياضة(58). في هذا، على الرغم من إمكانية تطبيق علاقة سببية ميكانيكية أو احتمالية بشكل مفيد على بعض جوانب الرياضة، إلا أنها تفشل في جوانب أخرى. فالرياضة ظاهرة بشرية ممتدة تنطوي على قواعد اجتماعية وعمل بشري بكل مقوماته الانفعالية والعاطفية وحتى الغيبية، لتصاغ في شكل أحداث معقدة لا يمكن فهمها مجزأة ومعبرا عنها رقميا أو في منحنيات وجداول. ويبدو أن "نوت Knott" محقٌّ في اقتراحه بديلا نظريا قد يؤتي ثماره في التحليل السببي للأحداث الرياضية، يتركز على الأسباب الغائبة أو الإغفالات أو الحقائق المضادة. فتحليل الأداء في الرياضة يحدد كميًا إجراءات معينة في الرياضة، مثل عدد التدخلات التي تم إجراؤها، أو النسبة المئوية للحيازة، أو الجري بالأمتار، كما لو كانت هذه المؤشرات مرتبطة سببيًا بنتيجة معينة. عندما يكون واقع الوضع أكثر تعقيدًا بعوامل غير قابلة للحصر لا يمكن الجزم بحقيقة العلاقة السببية. كما يقترح "نوت"، أنه إذا استخدم علماء الرياضة والمدربون تجارب فكرية للنظر في الحقائق المضادة في فهمهم للعلاقات السببية، يمكن القول إن ذلك سيؤدي إلى مستوى أكثر ثراءً من تحليل الأداء في الرياضة(59).

وقد أشار "ساندز وماكنيل" إلى عدم وجود إطار نظري موحد كأحد الأسباب الرئيسية لضعف علم الرياضة عمومًا في التنبؤ بالأداء الرياضي(60). في هذا الصدد، هناك تشابه مثير للاهتمام بين تجارب العلوم التجريبية والمسابقات الرياضية. كلاهما يدور حول عدم اليقين، وبالتالي يجب معرفة جميع المكونات ومعايرتها بدقة. النهج الآخر الذي يجب اتباعه هو النهج الذي يتعلق بالرياضة والعروض الرياضية التي قد تتجاوز حدود العلم. الرياضة لا تتعلق فقط بالأداء القابل للقياس. لذا، يتساءل "ليو كوتليك" كيف يشعر بها الكثيرون بوضوح عندما يؤدون الرياضة أو يشاهدون الرياضة؟ أم أنه من الممكن (على الإطلاق) فهم الرياضة حقًا دون التفكير في الصفات والخصائص التي تتجاوز التجربة الرياضية في حد ذاتها؟(61).

ويجد هذا الفكر له أصلاً، ينطلق من فكرة القيم الثقافية في العلم، إلى فكرة عدم اليقين وصولا الى مناهضة التسلط العلموي والتوغل في الحتمية. والحقيقة الأولى هي أن بعض الناس يعتبرون العلم مجرد نظام معرفة وشكل نظري، ويغفلون عن كونه في الواقع نوعا من النشاط العملي وأيضًا شكل ثقافي خاص أثناء استكشاف الإنسان للعالم. بالنسبة للمعرفة النظرية الثابتة، سوف تميل إلى استنتاج أن العلم مستقل عن القيمة. ومع ذلك، من منظور ديناميكي وتاريخي وثقافي، سيكون من السهل العثور على القيمة المحملة للعلم value-laden والتفاعل بين العلم والأنشطة العملية الأخرى والأشكال الثقافية للإنسان. لذلك، يتكون مفهوم "العلمية" بشكل عام من جزأين: أحدهما نظام نظري بمحتوى وشكل متسقين، والآخر هو نواة الحقيقة التي يمكن أن تكشف حقًا جوهر موضوع البحث على مستويات معينة. كلاهما جزء لا غنى عنه، مع النظام النظري فقط ويقينه ودقته ومنطقيته، فهو مجرد شكل من أشكال العلم بدون إتقان الجوهر(62). هذا هو الحال مع "Le Pogam" الذي يناضل من أجل "مفهوم تعددي وغير اختزالي للعقلانية. يبدأ من ملاحظته العامة حول الرغبة المهيمنة لنموذج "العلوم الصلبة" الوضعي والموضوعي والاختزالي لإنتاج التفسير النهائي والحصري لمختلف الظواهر(63). وبمعول آخر أقدم "فيرايبند" على

هدم إحدى قلاع العلم العاتية التي بني على أساسها العلم الحديث فيقول بأنه "مهما بدت لنا قواعد المنهج التي "يتشدق" بها فلاسفة العلم ضرورية وأساسية فهناك دائما ظروف تستدعى ليس فقط تجاهل هذه القواعد، وإنما تبنى عكسها"[64] ويقصد التخلي عن التقوقع خلف الصرامة المنهجية والالتزام المتزمت المخل بالفهم الحقيقي للوقائع كما هي بكل تفسيراتها العقلانية واللاعقلانية.

وقد تم كسر أسطورة الحقيقة المطلقة لنظريات العلوم الطبيعية الكلاسيكية في القرن العشرين من خلال اختراقات وابتكارات كبيرة في النظريات العلمية منها النظرية النسبية ونظرية الكم، والتي ألقت بظلال من الشك على اليقين والدقة في نظريات العلوم الطبيعية. تبين أنه لا يزال هناك حالياً عدد من الظواهر الطبيعية التي لا يمكن تفسيرها بالعلم الطبيعي والمجالات المجهولة التي يواجهها لا حصر لها. ففي عام 1927، اشتق "هايزنبرغ" من ميكانيكا المصفوفة مجموعة من العلاقات التي حددها مصطلح "عدم اليقين" أو "عدم التحديد"، والتي من شأنها أن تكون ذات أهمية كبيرة لتفسير نظرية الكم. وسعى إلى استبدال الفصل الديكارتي بين الذات والموضوع بنموذج من طبقات مختلفة من الواقع تنتقل من القطب الموضوعي إلى القطب الذاتي. يشير تفسيره إلى أن موضوعية المعرفة محدودة في هذه النظرية الفيزيائية الجديدة. كما يلاحظ، بدأت الفيزياء الكلاسيكية بالاعتقاد بأنه يمكننا من حيث المبدأ وصف العالم بموضوعية، أي دون أي إشارة إلى أنفسنا. ومع تطور نظرية الكم، فقد ثبت أن هذا الاعتقاد هو "وهم"، فالملاحظة تغير بشكل عام حالة النظام، وهذا التغيير لا يعني فقط الاضطراب المادي للنظام، ولكن أيضًا التغيير في معرفتنا بالنظام ونظرًا لأن هذا التغيير نفسه لا يمكن تحديده بشكل موضوعي، فإنه يترتب على ذلك أن نظرية الكم لا تسمح بوصف موضوعي تمامًا للطبيعة[65].

من جانب آخر، في تشريح العلاقة السببية يقول "أليكس روزنبرج" إن تحديد سبب ما لن يكون بطبيعة الحال أساسا جيدا لتوقع النتيجة. فنحن نحتاج كذلك للتأكد من توفر الشروط الأخرى العديدة، الموجبة والسالبة، المطلوبة جنبا إلى جنب مع السبب لإحداث النتيجة. وهو ما دفع بالوضعيين، حسبه، للإحالة إلى القوانين وليس إلى الأسباب كوسائط للتفسير. وعلى هذا فإن التفسيرات في العلوم الطبيعية التي لا تحدد سائر القوانين ذات الصلة الوثيقة بتوضيح لماذا يقع حدث ما سوف تكون مجرد كروكيات أو أطر أولية للتفسير، مثل تلك الموجودة في التاريخ والعلوم الاجتماعية. وفوق ذلك، فإنه إذا كانت الأسباب التي تحددها القوانين كافية للنتائج، فإن القوانين العلمية التي كشفنا عنها سوف تذكر أيضا كل الظروف الضرورية لنتائجها وإلا فإنها سوف يكون عليها أن تنص صراحة أو ضمنيا على فرضية أن الأشياء الأخرى ثابتة (Ceteris Paribus)[66]. فلو أخذنا على سبيل المثال تأثير قوة الأعضاء السفلية على مهارة القذف، فنحن في الحقيقة نُغْفِل عوامل كـ: التركيز، والتحكم التقني، والتوافق الحركي، والحالة النفسية، ونوعية الكرة، وسرعة الرياح، والحضور الجماهيري... وغيرها كثير من العوامل التي بإمكانها أن تؤثر إيجابا أو سلبا على هذه المهارة. فأي استنتاج يحصر العلاقة السببية في قانون عام هو في الحقيقة بهدف الحصول على قيم تقريبية لتصورنا عن الظاهرة كما نعتقد لا كما هي في الواقع.

لذلك يجب أن تكون القضية المعرفية المركزية في عصرنا هي عدم جعل مفهوم العلم يعتمد على أي محدد من مكوناته وتعميمها على العلوم الأخرى لتكون معيار علمية تفرض من خلاله نظرة أحادية القيمة تغفل عن حقول معرفية تقف فيها الحقيقة ظاهرة للعيان لكنها، فقط، لا تخضع لشروطها النظامية التي كرستها النظرة العلموية. ونستلهم بعدها من الإجابة الشافية التي غالباً ما يرد بها علماء التخاطر لصدهم عن مجال العلم وعدم قبولهم كعلم من قبل العلمويين بالزعم أن "العلم، الذي حارب لقرون لتحرير نفسه من عقيدة الكنيسة، غارق الآن

في عقيدته الخاصة، العلموية"[67]. ولعل هذا ما جعل "Coutellec. L" يدعو إلى ما يصطلح عليه "الديمقراطية في العلوم"[68]. لنشق طريق تحرر جديد تسير فيه العديد من المعارف التي خبرتها التجارب الإنسانية وافتكاك الاعتراف بمعقولية تفسيراتها، وبالتالي توسع مجال المعرفة الذي هو حقيقة أوسع من مجال العلم، وأكثر من ذلك التخلص من الذهنية المتصلبة والجافة للعلم عن واقعنا الحيوي. هذه هي النظرة المثالية التي ذكرها "Putnam" ويعتبرها السبيل الوحيد بل يمكن رفعها حسبه حتى إلى مقام الضرورة الثقافية إذا أردنا الوصول إلى نظرة إنسانية عاقلة لأنفسنا أو للعلم"[69].

خاتمـــة

في هذه الورقة حاولنا طرح بعض التساؤلات الابستيمولوجية ليتسنى لنا النظر في علمية الرياضة من خلال معايير الترسيم، وكذلك البحث في هوية هذا العلم بالتعرض لمشكلات الموضوع والمنهج وطبيعة العلم في حد ذاته. وقادنا ذلك الى استخلاص صعوبة الجزم بقرار قطعي نقول من خلاله –بالأخص– إن الرياضة ليست بعلم وأنها أبعد ما تكون من شروط العلمية. لكن مع بعض المؤشرات الحديثة حول مفهوم العلم والنظرة المتغيرة لطبيعة المعرفة العلمية وأنماط تحصيلها، أدى إلى اتساع المجال لاعتبار الرياضة علما يمكن أن يكون أقرب لأن يصنف كعلم تطبيقي أو علم متعدد التخصصات أو حتى علم فرعي من علوم التربية مثلا.

فعلم الرياضة له خصوصية تعقيد الظاهرة الرياضة يصعب معها تحديد مفهوم دقيق لها يشمل كل المعاني التي تحملها، وقد تبنى العديد من التسميات كعلم التمرين الرياضي Exercise science، أوعلم الحركة kinesiology، أوعلم الأداء الرياضي، أوعلم الممارسة الحركية Praxeology، وغيرها من التسميات.

ولم تكن التسمية التحدي الوحيد الذي واجهته الرياضة كعلم، فغياب قواعد نظرية موحدة ومناهج بحثية خاصة، قلل من بروز هويتها بمعالم واضحة، فكل ما ترتكز عليه الرياضة في بنيتها المعرفية ومناهجها يتأتى من العلوم الأخرى، إلى حد التماهي فيها، ولا يمكنها الاستقلال بنظريات أو تختص بمنهج محدد نظرا لتشعب العوامل المتدخلة في الممارسة الرياضية وما لها من تأثير في نتائجها. لكن هناك من لا يرى في ذلك عيبا، فخاصية التعقيد تستوجب طرحا مغايرا للوصول للحقيقة العلمية، بل إن العديد من الباحثين يرون باستحالة فهم أي ظاهرة بعزلها عن باقي الظواهر وأنه من الأنسب تبني مقاربة تداخلية للإحاطة بالظاهرة وتفسيرها علميا.

وما يمكن قوله هو أن الرياضة كعلم قد حظيت بالاعتراف الأكاديمي، لكنها في المقابل ستبقى خاضعة للتغيرات على المستوى الابيستمولوجي من جهة، ومن جهة أخرى لتطور المعاني التي يفرضها المجتمع على الممارسة الرياضية في حياة أفراده، لتتشكل ويعاد تشكيلها كبينية معرفية تسعى لأن تستقل بنظرياتها ومناهجها.

المراجع:

1- رجاء وحيد دويدري. (2000). البحث العلمي أساسياته النظرية وممارساته العملية. دمشق: دار الفكر، ص 22.

2- السيد شعبان حسن. (1993). برونشفيك وباشلار بين الفلسفة والعلم. بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، ص 130.

3- يمنى طريف الخولي. (2014). فلسفة العلم في القرن العشرين، الأصول – الحصاد – الآفاق المستقبلية. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

4-Claudio Pellini Vargas. Antonio Flavio Barbosa Moreira. (2014). The Epistemological Crisis in Physical Education: Implications for Teaching Work, Athens Journal of Sports - Volume 1, Issue 1– Pages 9-22 https://doi.org/10.30958/ajspo.1-1-1 doi=10.30958/ajspo.1-1-1 .

5- Laker, A. (2000). Beyond the boundaries of physical education—educating young people for citizenship and social responsibility. London, UK : Falmer Press

6-WilIimczik. K. (1992). Interdisciplinary Sport Science : A Science in Search of its Identity In H. Haag O. Grupe A. Kirsch. Sport Science in Germany An Interdisciplinary Anthology, Springer-Verlag, Berlin.

7-ibid.
8-Emanuele Isidori. (2015). Philosophy of Sport Education: Main Issues and Methodology. Physical Culture And Sport. Studies And Research. Volume LXVI 5 DOI: 10.1515/pcssr -2015-0003
9-Shilling. C (2005). The Body in Culture, Technology and Society. SAGE Publications, pp 101.
10-Kretchmar, R.S. (2008). The Utility of Silos and Bunkers in the Evolution of Kinesiology. Quest, 60, 3-12, p 4.
11-Dombrowski, D. (2009). Contemporary athletics and Ancient Greek ideals. Chicago: University of Chicago Press
12-Schmitz, K. (1979). Sport and play: Suspension of the Ordinary. in E. W. Gerber, & M. William, Sport and the body : a philosophical symposium. USA: Philadelphia : Lea & Febiger.
13- Suits, B. (2007). The elements of sport. Dans W. Morgan, Ethics in Sport (pp 9-19). UK: HumanKinetics.
14-Besombes, N. (2016, février 25). Les jeux vidéo compétitifs au prisme des jeux sportifs : du sport au sport électronique. Consulté le 19 avril, 209, sur http://journals.openedition.org/sdj/612
15-ibid
16-Feezell, R. (2004). Sport, play, and ethical reflection. Chicago : University of Illinois Press.
17-McBride, F. (s.d.). A critique of Mr Suits definition of game playing. Philosophy. the Journal of Sport, 59-65.
18-Willimczik. K. Op.Cit. p 10.
19-Coakley J, Dunning E. (2000). The Handbook of Sports Studies. SAGE Publications, pp 570.
20-Pisk, J. (2014). Sport Science : Ontological and Methodological Considerations. Physical Culture and Sport. Studies and Research, 5–14.
21-Rodríguez, p (2011). research in physical education. Educatio XXI century, vol. 29 no. 1.
22-Kretchmar, R. S. (2008). The Utility of Silos and Bunkers in the Evolution of Kinesiology. Quest, 3-12.
23-Loïc Jarnet. (2004). Pour Une Épistemologie Aposterioriste Des STAPS, De Boeck Supérieur | «Staps» 2004/3 no 65 | pages 27 à 41.
24-Johnson, M. (2008). The meaning of the body—aesthetics of human understanding. Chicago: University of Chicago Press.
25- Gleyse, J. (1991). Questionnement épistémologique des STAPS-EPS. Revue STAPS, 73-78, p77.
26-Léziart, Y. (2003). Transposition didactique et savoirs de référence : illustration dans l"enseignement d"une pratique particulière de saut, le Fosbury-flop. Science & Motricité, 50, 81-101.
27-Pisk, J, Op.Cit.
28-Popper, K. (1963). Conjectures and Refutations: The Growth of Scientific Knowledge .london: Routledge, pp 66-67.
29-Jacqueline Feldman (1994) Which Scientificity for the social Sciences ? World Futures, 42:1-2, 133-143, DOI: 10.1080/02604027.1994.9972506 .
30-Guillaume, L. (2012). Les sciences face aux créationnismes. Re-expliciter le contrat méthodologique des chercheurs.france: Editions Quæ.
31-WilIimczik. K, Op.Cit.
32-Pisk, J, Op.Cit.
33-WilIimczik. K, Op.Cit.
34-ibid
35-Pisk, J, Op.Cit.
36-Haag, H. (1993). Concerning the position of the theory field of sport philosophy within a conceptual framework of sport science. In G. Gebauer (Ed.), The relevance of the philosophy of sport (279-294). St. Augustin, Academia.
37-Les Burwitz , Phil M. Moore & David M. Wilkinson (1994). Future directions for performance□ related sports science research: An interdisciplinary approach, Journal of Sports Sciences, 12:1, 93-109, DOI: 10.1080/02640419408732159.
38-Wing, C. (2016).Bounce: The Material Certainty of Sporting Chance. New York: New York University.
39-Suppes, P. (1978). The plurality of science. PSA: Proceedings of the Biennial Meeting of the, 2, pp. 3-16, p 5 .
40-Vertinsky, P. (2009). Mind the Gap (or Mending It): Qualitative Research and Interdisciplinarity in Kinesiology. Quest, 39-51.

41-Nyuykongi John Paul. (2011) "Feyerabend, Pluralism and Progress in Science in Against Method (1993) and the Tyranny of Science." International Journal of Trend in Scientific Research and Development (ijtsrd), ISSN: 2456-6470, Volume-4 |Issue-2, February 2020, pp 470-478.

42- إدغار موران. (2004). ترجمة: أحمد القصوار، منير الحجوجي. الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب. المغرب، دار توبقال للنشر.

43-Jörg, Ton. (2011). New Thinking in Complexity for the Social Sciences and Humanities A Generative, Transdisciplinary Approach .Springer .New York

44-Haggis, T. (2008). 'Knowledge Must Be Contextual': Some possible implications of complexity and dynamic systems theories for educational research. In M. Mason (Ed.), Complexity theory and the philosophy of education . (150-168). Malden, MA, Wiley-Blackwell. p 153.

45-Elliott, B. (1999). Biomechanics: An integral part of sport science and sport medicine. Journal of Science and Medicine in Sport, 2, 299–310. p 307.

46-Kretchmar, R. S. Op.Cit.

47-Loïc Jarnet. Op.Cit.

48-Buekers, M., Ibáñez-Gijón, J., Morice, A., Rao, G., Mascret, N., Laurin, J., & Montagne, G. (2016). Interdisciplinary research: A promising approach to investigate elite performance in sports. Quest (grand Rapids, Mich), 69(1), 1–15. doi:10.1080/00336297.2016.1152982

49-Glazier, P. S. (2017). Towards a grand unified theory of sports performance. Human Movement Science, 56, 139–156. doi:10.1016/j.humov.2015.08.001

50-Roland Renson. (1989). From Physical Education to Kinanthropology: A Quest for Academic and Professional Identity. QUEST, 41, 235-256.

51-Filho, A. R. (2000, May). In Search of AcademicIdentity: Physical Education, Sport Science and the Field of Human Movement Studies. The University of Leeds.

52-Loïc Jarnet. Op.Cit.

53-Roland Renson. Op.Cit.

54-Emanuele Isidori. Op.Cit.

55-Loïc Jarnet. Op.Cit.

56-Reid, L.H. (2012). Introduction to the philosophy of sport. New York : Rowman & Littlefield Publishers

57-Parry, J. (2005). Must scientists think philosophically about science. In McNamee, M. (Ed.), Philosophy and the Sciences of Exercise, Health and Sport (pp. 20-31). London : Routledge. p 29

58-Léo Coutellec. **(**2014). La science au pluriel. Essai d'épistémologie pour des sciences impliquées. éditions Quæ.

59-Emily Ryall. **(**2019). Introduction to Philosophical Issues in Sport Science. Philosophies, 4, 57; doi:10.3390/philosophies4040057.

60-Sands, W. A., & McNeal, J. R. (2000). Predicting athlete preparation and performance : A theoretical perspective. Journal of Sport Behavior, 23, 289–310.

61-Léo Coutellec . Op.Cit.

62-Zong-Liang Xu. (2005). Science and Scientificity**.** Geno. Prot. Bioinfo. Vol. 3 No. 4.

63-Le Pogam, Y. (1998). Epistémologie de la multi-référentialité des STAPS. In G. Klein (Ed.), Quelles sciences pour le sport ? Toulouse, LARAPS & AFRAPS, 27-36. p 28.

64– بول فيرابند. (1998). ترجمة: محمد أحمد السيد. ثلاث محاورات في المعرفة. الإسكندرية، منشأة المعارف بالإسكندرية، ص 12.

65- Makoto Katsumori. (2010), Heisenberg on Science, Language, and the Question of Objectivity Energeia II 1-7

66- أليكس روزنبرج. (2011). ترجمة: أحمد عبد الله السماحي، فتح الله الشيخ. فلسفة العلم: مقدمة معاصرة. القاهرة، المركز القومي للترجمة. ص 101-103.

67-Parra, Alejandro. (2013). "2012 Presidential Address: What Have We Learned about Psi? Reflections on the Present of Parapsychology." Journal of Parapsychology 77: 9–20. p 15.

68- Coutellec L., (2013). De la démocratie dans les sciences. Épistémologie, éthique et pluralisme. Paris, Éditions Matériologiques.

69-Putnam, Hilary.(2013). Meaning and the Moral Sciences. London: New York: Routledge Revivals, an imprint of Routledge Taylor and Francis Group, p 5.